

ظاهرة التطرف

الأستاذ الدكتور أحمد دكار

جامعة تلمسان



فالفساد هو الذي يحتاج إلى تصحيح، ولعل من سلامة فكرنا العقدي هو البعد عن الغلو والاعتماد على الوسطية التي جاءت في سياق الرد على اتهام الإسلام بالتطرف والتعصب والإرهاب والعنف، وجميعها شبهات باطلة أوردتها الغرب المسيحي ومن ورائه الصهيونية العالمية، ومحاولة إصاقتها بالإسلام وهو منها براء.

فالوسطية ميزة تناسب إنسانية الإنسان المسلم، وتبعده حتما عن الإمعة وعن المثالية المفرطة، والمادية القاتلة التي يتخبط فيها الإنسان الغربي، حيث صار بعقله المأزوم قلقا يبحث

أكد أن الحوار أفضل من الجدل، فالمرء المسلم إذا أراد أن يكسب عدوا فليحاوره، فعدم المحاوره تؤدي حتما إلى المجادلة، والمجادلة تفقد الأصدقاء قبل الأعداء، ولنا في القرآن الكريم الأدلة الساطعة، وفي رسولنا صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى، لأنه لم يكن فظا ولا غليظ القلب، فهو الذي حاور عندما جادله الغير، وبهذا كانت وستبقى كلمة الله هي العليا.

إن الحوار مع الغير لا يعني بأي حال التنازل عن أسس عقيدتنا، فعقيدتنا صحيحة وعقيدة غيرنا فاسدة، ولا يمكن تصحيح الصحيح بالفساد،

عرف العالم صار في حكم المشاهد لله تعالى وهو يخلق السماوات والأرض)، وعندها ستشمله العزة الربانية، (ولله العزة ولرسله وللمؤمنين).

إن العقيدة الإسلامية هي أركان ثابتة، وليست أفكاراً من وحي البشر في حاجة إلى إثبات بالشرح والتفسير والتفلسف المؤدي إلى الغلو، كما هو الحال عند غيرنا، قال الله تعالى: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ النساء: ١٧١، وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ المائدة: ٧٧.

إن من حمل رسالة الإسلام كان أصفى وأخير الناس، وأوسعهم خلقاً وخلقاً، فكان خلقه القرآن الكريم كما وصفته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، فالاصطفاء ارتبط بمهمة ثقيلة وعظيمة في آن، وإذا تأملنا مسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإننا نجد قد ورث سادة عظماء حملوا لواء الدين، ورسالته ينشرونها لا تشيهم الصعاب، فكانوا يتمتعون

عن المخرج ويطلبه حثيثاً، ولا يجده فيحاول تصدير سلبياته إلى العقيدة الإسلامية بإيراد تحديات مرات عن التوحيد، وأخرى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومرات كثيرة عن القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك بدعوى تحرر الفكر، وقراءة التراث بالتأويل المؤدي حتماً إلى التأويل المذموم الذي يخترق النص القرآني، لا شيء إلا لإرضاء النزوات، وأصحاب الهوى.

ويزداد الأمر خطورة عندما يتلقف المحسوبون على الإسلام هذه الشبهات، فلهذه الأسباب وغيرها لابد من الاعتماد على الفهم السليم للعقيدة والعودة للوسيلة القرآنية، وبذلك نكون خير أمة أخرجت للناس بلا رهبانية، وباعتدال ووسطية تحقق للإنسان سعادته في الدنيا التي هي امتداد للسعادة الأبدية، فالعقيدة الإسلامية يقينية شاملة عن الإنسان والكون، فمن تأملها أصبح في حكم المشاهد لخالق هذا الكون، لهذا قيل: (من عرف نفسه عرف العالم ومن

يَحْذَرُونَ ﴿التوبة: ١٢٢﴾ ومن هنا تبرز أهمية إسناد التعليم الشرعي لمن يوثق في علمه وفي خلقه، ولا تترك ساحة التعليم الديني كلاماً مباحاً يخوض فيه من شاء.

لقد دخلت المجتمع المسلم من الفلسفات الأخرى كثير من المعاني الخاطئة والمبادئ الغربية، فوجدت في بعض الأنفس العليلة والأفكار السقيمة مجالاً مناسباً، للتغلغل في الفكر الإسلامي، فنسبت إلى الشريعة زوراً وبهتاناً، وسوّقت على أنها منتج الحضارة الإسلامية وهي بريئة من إنتاجه، لقد تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشاكل التي عالجها بروح الدين القائم على (طلب الحلال واجب على كل مسلم).

التقليد وأثره: إن الحديث عن الغلو وتجاوز الوسطية يقودنا إلى تساؤلات كانت ولا تزال وستبقى لأنها أسس مهم من أسس عقيدتنا وهي قضية التوحيد وعلاقتها اليوم بحوار الحضارات أو حوار الأديان كما يذهب البعض أو

بكل مؤهلات الوراثة. ولأن صراع الحق والباطل وتدافع الخير والشر سنة جارية، فقد تكشفت الدنيا عن حالات من الانحراف الغريب، وتبوء منصب التوجيه فيها من لم يتأهل له، فضلّ وأضل، ووصف العلل والأدواء بدل الدواء، وأهلك الحرث والنسل، ومثل هذا النموذج البائس تكرر في تاريخ الأمة الطويل، فظهر أناس جهلة جلسوا للتوجيه فأفسدوا ولم يصلحوا بظنهم أنهم علماء بدراستهم مجموعة من الكتب قلت أو كثرت، فأنشأوا لأنفسهم مدارس فكرية وفقهية اعتدوا فيها بأرائهم وأهوائهم، وتحاملوا مع هذا الانحراف على علماء الأمة الصادقين المخلصين، فنعتوهم بكل نقیصة وعیب.

فأخذ العلم الشرعي وتبليغ أحكامه إلى الآخرين مهمة جلية في غاية الخطورة، ولهذا لم يكن غريباً أن يستعمل القرآن الكريم تعبيراً عسكرياً وهو يدعوا إلى العلم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

اعتمدت على الانعزال والانغلاق لأنها تحمل تناقضات وجودها، فهي ليست في حاجة إلى تفسير، بل اعتمدت على تصدير الأفكار الفاسدة إلى غيرها من العقائد وعلى رأسها العقيدة الإسلامية بدءاً بالاسرائيليات وانتهاءً اليوم بنقد الفكر الديني المبني على قراءة التراث.

إن كل ذلك في اعتقادنا سينتهي حتماً إلى التأويل المذموم الذي يخترق النص القرآني بدوافع منطقية مغلوطة، وما يقابله من ردود أفعال فكرية عقدية لا تتناسب في أغلب الأحيان مع وسطية الإسلام وإنما كما أراد لها أعداء الإسلام.

إن القرآن الكريم ليس كتاباً منطقياً ولا كتاباً جدلياً وأعني هنا بالمنطق تلك القوانين التي يخضع لها العقل. فالقرآن الكريم فوق العقل البشري، وفوق قدرة الكائن جنّاً أو إنساً، فهو المعجز في كل مكان وزمان. فالقرآن الكريم يخاطب الوجدان ويدفع بالعقل إلى الإيمان المعلن والمبرر لهذا أعطاه المكانة التي من أجلها أوجده.

تفاهم وتقارب المذاهب كما يحلو للبعض الآخر. فعلم الكلام ما كان ليوجد لولا الشبهات والاعتراضات والتحديات التي وردت على العقيدة الإسلامية، ولا زالت تردُّ بأكثر حدة فكرية، وأكثر شراسة. ولا بدّ هنا قبل الحديث عن غلوّ الخاصّة والعامة أثناء مخالطتهما للمسائل الكلامية من الوقوف أمام تساؤل له أثره في عملية الخطاب الديني، وإرساله إلى المتلقين علماً أن المتلقين مستويات، التساؤل: "إذا كانت النصرانية أسست علم اللاهوت على الشرح والتفسير ثم التفلسف فلأن القضية تتعلق بعقيدة محرّفة فاسدة تحتاج إلى إثبات ومن ثم ترسل إلى المتلقين خارج الملة".

إن الشرح والتفسير والتفلسف الذي صاحب علم اللاهوت كان من أجل تصحيح الباطل بدءاً من التثليث وانتهاء بما بعد الموت، والقضاء على الصحيح بالباطل، وعلى الرغم من أن اليهودية لم تلجأ إلى ما لجأت إليه النصرانية بعلم اللاهوت، إلّا أنها صارت في تحقيق الغرض نفسه، فاليهودية

شكل تحديات حول عقيدة الإسلام، لكن الأمر يبدو أنه تغير مما شكل اعتراضات وتناقضات على العقيدة الإسلامية بشقين: تطرف وغلو خارج الملة، تطرف وغلو داخل الملة، والنتيجة في اعتقادنا واحدة.

فالأمر قد يبدو غريبا وعجيبا في آن واحد أمام هذه التساؤلات التي لا تنتج في نظرنا إلا فكرا متطرفا، ماذا يفعل الدين لي؟! أنا الذي افتقر إلى الرؤية والصورة! فهل يمنحني الدين ويمنح العالم الصورة والمعنى؟

إن القضية المهمة هي قضية الخروج من المتاهات والإبهامات ومشاعر القلق المفزعة والعقل المأزوم. فكثير من هذه الانشغالات الفكرية التي شكلت نواة لتيارات فكرية مختلفة (حول قيمة العقل والتقليد والشؤون الاجتماعية والسياسية) كانت سببا في التطرف والغلو وتجاوز الوسطية لأنها لم تلتزم لا عقلا ولا نقلا بما أقره القرآن الكريم وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وجاهد عليه سلف الأمة.

إن الإسلام دين العقل، فالمتمأمل في أي القرآن الكريم يدرك مكانة العقل ولماذا اهتم علماء الكلام بقضية الإيمان وتوابعها بواسطة العقل حتى يقف الإنسان عند الحدود التي شرعها الإسلام بدون إفراط ولا تفريط، لقد ورد العقل ومرادفاته ومشتقاته ما مجموعه ثلاثا ومائتا آية وبالمقابل عاب القرآن الكريم التقليد في كثير من آياته وبهذا يوجهنا الله إلى التفكير والتدبر والنظر العقلي، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠.

مرة أخرى نتساءل عن حضور المسائل الكلامية أمام الأفكار المتطرفة والخارجة عن الوسطية الإسلامية. هذه الأفكار التي ترد على عقيدة التوحيد وما يتعلق بها من جهة، وتنقد الفكر الديني وما ينتج من أفكار وأفكار مضادة.

فعلم الكلام في السابق أجاب عن تساؤلات جدلية - بغض النظر عن نتائج تلك التساؤلات - جاءت على

أسلافنا.

إن قراءة لتراثنا الزاخر بالعقل العلمي المبني على النقل ستؤتي أكلها بإذن ربها خدمة لعقيدة التوحيد.

ما علاقة المسائل الكلامية بالغلو والتطرف الفكري؟ لقد بدأ علم الكلام بداية من القرن السابع في الهبوط شيئاً فشيئاً إلى درج الجمود والجذب والشطط، ولقد شذ عن هذا الشيخ السنوسي بمؤلفاته خاصة العقيدة الكبرى والعقيدة الصغرى (أم البراهين) والعقيدة الوسطى. وعلى الرغم من حلول الصبغة الدراسية الكلامية في عصره، إلا أن مؤلفاته تركت بصماتها واضحة على الفرد والجماعة في الحياة العقدية والاجتماعية شأنه شأن شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يكون قد أسس لفكر عقدي أصيل أساسه الكتاب والسنة (أقول هذا لأن الكثير من الأفكار الضالة المتطرفة تنسب جهلاً إلى شيخ الإسلام ابن تيمية).

فالنتيجة الحتمية من كل ما سبق هي ظهور غلو الخاصة وغلو العامة

فنقد المؤسسات الدينية والمتدينين وعلماء الدين هو من الضرورات الملحة في الحياة الإيمانية، لكن ليس بالتجريح والشتم وإصاق التهم الباطلة. فالعلماء ورثة الأنبياء، والملائكة تضع أجنتها لحامل العلم رضا بما يصنع. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)). إن التجديد يساعد في القضاء على التطرف والغلو الديني، ويقلل من شأن النقد الخارجي للتفكير الديني الذي ينتهي حتماً بمعاداة الإيمان، كنقد "فيورباخ وكارل ماركس وفرويد وسارتر".

فهذه الانتقادات جميعها خارجية وفارغة من الإيمان وبدون شك، منتجة لتطرف ديني وإيديولوجي.

نحن في حاجة إلى نقد الخطاب الديني المبني على نقد العقل، وتوجيه التقليد ووضع الخاصة والعامة ومستوياتهما، من أجل المحافظة على عزة الإسلام والمسلمين، كما فعل

البعض".

ونجد الغزالي يربط المعرفة الدينية بالقرآن الكريم حيث يقول: "أَوْ مَا بَلَغَكَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ مِنْهُ يَتَشَعَّبُ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ كَمَا تَتَشَعَّبُ عَنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَحِيطُ أَنْهَارُهَا وَجَدَاوِلُهَا".

إذاً معرفة الله تحدّد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة وتجيّبه عن كثير من التساؤلات التي لا بد للإنسان معرفتها عقلاً ونقلاً، والتقيّد بضوابط العقيدة الإسلامية يبعد الإنسان عن إصدار الأحكام عن أفراد الأمة بالتكفير، ويدعو الأمة بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود ما يسمح به الشرع محافظةً على النظام وعلى استمرار حكم الله في الأرض.

يقول الشيخ السنوسي: "اعلم أن الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام الوجوب والاستحالة والجواز، فالواجب ما لا يُتصوّر في العقل عدمه والمستحيل ما لا يُتصوّر في العقل وجوده، والجائز ما يتصور في العقل

حول أسس هام من أسس عقيدتنا، وهو التوحيد الحاصل إما بالعقل أو الحاصل بالنقل أو الحاصل بالعقل والعقل.

إشكالية العقل والنقل وعلاقتهما بالغلو: الإسلام يقرّ بكل مصدر أو وسيلة تؤدي إلى تحقيق المعرفة بالدين، وتظهر قيمة المعرفة في الفكر الإسلامي في جانبها المتعلّق بالله تعالى وهي المعرفة الحقة اليقينية.

يقول الشيخ السنوسي: "أول واجب القصد إلى النظر، والنظر هو وضع معلوم أو ترتيب معلومين فصاعداً على وجه يتوصل به إلى المطلوب" لقد حمّل ابن سينا الإنسان واجب التأمل لماذا خلق الوجود، هذا التأمل لا يخرج البتّة عن إنسانية الإنسان إذ يقول: "انظر إنك إذا استشعرت جانب الله وفكرت في جبروته كيف يقشعرّ جلدك ويقف شعرك وهذه الانفعالات والملكات قد تكون أقوى وقد تكون أضعف، ولولا هذه الهيئات ما كانت نفس بعض الناس بحسب العادة أسرع إلى التهتك والاستشاطعة غضباً من نفس

عند غيره لا شكّ ينتج أفكارا ويحاول إثباتها والدفاع عنها بكل الوسائل وهنا قد يسقط في مهاوي التطرف العقدي، وهذا الصراع الفكري حول الإيمان بالتقليد وبالعقل، والمبالغة فيها يؤدي إلى البحث عن أدلة إثبات الذات، ونفي الطرف الآخر، فيحصل التكفير الذي لا يقره الإسلام، لأنه اعتقاد فاسد وانقياد أعمى يسقط صاحبه في مهاوي الجهل المركب. إن الاعتقاد السليم الحاصل بالمعرفة والعلم نتيجة توحيد الإلهية، وتوحيد الصفات، بإجابة تطمئن بها ولها القلوب، يجيب عن مثل هذه التساؤلات: لماذا خلّقنا وإلى أين المصير؟ التي عجزت عنها كل التيارات الفكرية والتي ولدت تطرفا داخليا وخارجيا. يقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ محمد: ١٩، ويقول أيضا: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون: ١١٧، ويقول أيضا: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

وجوده وعدمه." وعليه يجب على كل مكلف شرعاً أن يعرف ما يجب أن يعرف في حق مولانا عز وجل وما يستحيل وما يجوز، وكذلك يجب عليه أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، إلا أن هذه العملية قد يصاحبها قلق ومبالغة فتؤدي بصاحبها إلى إنتاج أفكار مغلوطة وملوثة بالنصرانية أو اليهودية فيحصل الغلو والتطرف الفكري من أجل تمريرها.

لهذا نجد بعض العلماء من يفصل في المعرفة الإيمانية الحاصلة بالتقليد، والحاصلة بالعقل. فالتقليد هو العمل بقول الغير من غير حجة، وهذا التعريف يستثني العمل بقول المفتي من طرف المكلف ذلك لأن المفتي يستند إلى حجة. فالتقليد المصاحب لإمعة الغير البعيد عن النظر والبعيد عن البحث والحجج يناقض إنسانية الإنسان ويسقط أسابه يُعرف وهو النظر العقلي، فالتقليد الجازم المطابق في عقائد الإيمان بلا دليل يجعل المقلد يتبنى ثم يعتقد، وعندما يقارن ما عنده بما

الرجال، ويعمي البصائر عن حقائق هذا الدين، الذي قرّر أن المجتهد مأجور، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد".

إن هذا منطق العلماء العارفين الذين ينتهون عند حدود الله تعالى، ويعلمون أن العصمة لدستور هذه الأمة وما عداه يصيب ويخطئ، ومن هنا يكون تعصب البعض إلى مشايخهم بإسبال لباس العصمة عليهم طريقاً للعداوة والتعصب لكل مخالف، وربما وجد في الأحكام الجاهزة التي هيأت لها قوالب التصنيع منذ أمد ما يمكنه من الثأر من هذا المارق، المبتدع، الضال، القبوري، المخالف للسنة، عالم السلطان، عالم السوء، الجاهل الخارج عن الدين، عدو السنة.

فالحديث إذن عن التعصب والغلو والتطرف يتشعب بأبعاد عقدية وإيديولوجية وسياسية وتاريخية واجتماعية.

والتساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح

القصص: ٨٨. ويقول: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ فَخْلًا لَكُم مَّا تَعْلَمُونَ إِنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هود: ١٤.

لقد ظهر التعصب في الأمة قديماً وحديثاً، مما شكل عقبة حقيقية أمام الفكر الديني الإيماني، فتعصب الناس إلى مذاهبهم ومشايخهم فجانبهم ذلك الصواب في كثير من المواقف، وكانت نتائج التعصب وخيمة على المجتمع، من تكفير وزندقة واعتداء لكل المخالفين، فقد سُجن ابن تيمية رحمه الله لأجل فتواه في الطلاق الثلاث، بأنه يقع واحدة مخالفاً في ذلك جمهور الفقهاء، وضُرب تلميذه ابن قيم الجوزية لأجل نفس الفتوى، ومن ألوان التعصب إلزام الناس بفهم شخص أو مذهب للنصوص الشرعية، بحيث يحجر على الفكر البشري ويمنع العقل المسلم من البحث في النص الشرعي، وإعادة قراءته في ضوء الضوابط الشرعية، ولا يُقبل من الناس إلا القول بالفكرة القديمة.

غريب أمر التعصب والمتعصبين، إنه يقفل مدارك العقل، ويسفّه أحلام

بهم، وما أعظم موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبرّر عدم قتله رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، حيث قال: ((لا أريد أن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه)).

أين يحصل الغلو والتطرف الفكري؟

النقل ← العقل ← = غياب العقل

النقل ← العقل ← = النقل والعقل

العقل ← النقل ← = النقل والتأويل

العقل ← العقل ← = تناقضات وتأزم العقل

والنتيجة التي تناسب معرفتنا الإيمانية الصحيحة تكمن في الاحتمال المبني على النقل والعقل. فالنقل هو الأساس والعقل تابع للنقل.

الوسطية في الإسلام: إن التطرف الفكري والغلو الديني يخرجان الأمة الإسلامية من وسطيتها التي ميّزها بها الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٠.

فالبغي والتمرد على الملة الإسلامية بإباحة دماء أفرادها تحت المبررات العقديّة المغلوطة يجرّ صاحبه إلى

هنا، لمصلحة من يحدث كل هذا؟ إلى أيّ شريعة يحتكم هؤلاء؟ بأيّ حق تستباح لحوم وأعراض علماء الأمة؟ ما هي الغاية المرجوة من هذه الفتن؟

هل يدرك هؤلاء أنها خدمة لأعداء هذا الدين؟ لقد تعلّمنا من علماء أمتنا أن الأمور الخلافية لا يمكن حسم النقاش بشأنها ولا تضر الشريعة ولا تنقص قدر قائلها بحال.

فالأمل معقود أن تدرك الأمة عمق أزمته، وسوء تقدير عدد من أبنائها وهم يشيعون في أوساط العامة والخاصة وشبابها هذا الأسلوب الغريب في التفكير، ويرسخون هذه الثقافة العقيمة المنتجة للغلو والتطرف. فكم من مسكين لا يحسن قراءة القرآن الكريم يقع في أعراض العلماء، وكم من صغير لمّا يتعلم بعد المحافظة على الصلوات والانتهاز عن المنكرات يخوض في مسائل الخلاف، لا شك أن أعداء الأمة هم أسعد الناس بهذا الوضع، وأحرصهم على استمراره، ففيه ملهات للمسلمين عن قضاياهم وشماتهم

ويعم الفساد ويهلك المجتمع وتكثر أطماع الأعداء، وهنا يستوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول الله تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [سورة التوبة: 71]. ويقول: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: 25].

فتوحيد الإيمان بالله والجهد في سبيل تحقيق ذلك يعني استمرار الأمة والمحافظة على وسطيتها. كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة يبذلون أموالهم وأنفسهم للجهد لنفع الناس فهم خير الأمم للخلق، والخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

فالوسطية في الإسلام هي أعلى مرتبة يصلها الإنسان، وكل تجاوز لها يعني الاعتداء على حق ملك للجماعة وتشويها للعقيدة التي أقرت بالوسطية المصحوبة بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وشهادة الناس على الناس.

الغضب الإلهي والبعد عن رحمة الله، وشفاعته صلى الله عليه وسلم. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إل عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)) [رواه مسلم وأحمد].

فالفتن تُفقد الأمة قوتها وقدرتها على الاعتصام، وأخطر الفتن التي لا علاج لها لما تحملها من حقد وتربص، الفتن المتعلقة بصحة أو بطلان العقيدة. يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: 103]. ويقول أيضا: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: 46].

فالفتن تقابل بهتك حرمت الدين، وظهور مبررات شرعية مؤولة فتضيع الأمانة، ويختفي الحكم المنظم

خاصة عندما يتمرّد الغلاة على أولى الأمر،

د- إبراز الخلافات الفكرية بين المسلمين وتغذيتها والتركيز على البعد التاريخي للفرق الإسلامية.

فالوسطية في الإسلام، بغضّ النظر عن المفاهيم التي صاحبها عند المفكرين، تتشعب بروافد فردية وجماعية، الفردية تبدأ من التنشئة الاجتماعية التي ينفرد بها الإسلام ولم تضاهه أي نظرية غربية مهما تعددت وتشعبت. فالجذور الأولى للوسطية الإسلامية تظهر في تربية الأبناء وغرس روح التسامح وقبول الرأي الآخر، وتلعب العدالة بين الأبناء دورا بالغ الأهمية، فالتفريق بين الأولاد له عواقب نفسية خطيرة، مثل العدوانية، والانطوائية، والعزلة، والوساوس. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم))، ويقول أيضا: ((اعدلوا بين أبنائكم في المحن كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف)).

فأمة الإسلام أمة وسط بكل أبعاد الوسطية في التصور والاعتقاد والبعد عن الغلوّ والتعصّب، كلّ ذلك يؤسّس لثقافة السلام. من الاعتقاد أنّ الدين الإسلامي وحي الله لكل البشر لا يحتاج إلى فلسفة تثبت وجوده بالقوة والتطرف الفكري كما أشاعه المستشرقون المتعصبون، وكما يعمل الخارجون المارقون عن الملة بإعادة إنتاج أفكار الخوارج. (إسقاط الأفكار التي كانت سبباً في نشوء هذه الفرق في العصور التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على مجتمعاتنا قصد تمرير خطب سياسية)

فتجاوز الوسطية التي أقرها الشارع الحكيم تؤدي حتماً إلى:

أ- ظهور مفاهيم ومصطلحات ضالة حول أحكام لها أصلاتها في الفقه والعقيدة،

ب- فتاوى الغوغاء والدهماء من الناس،

ج- إعادة تفسير أقوال العلماء وفقهاء الأمة حسب الأهواء والنزوات

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: 28]، فالأطمئنان القلبي يبعد صاحبه عن الغلو والتطرف في القول والفعل. إن الملاحظة تبين أن جل الأفراد الذين سلكوا سلوك الإرهاب والبغي مرضى نفسيون وجاء صنيعهم انتقاماً من الأسرة والمجتمع.

فالتنشئة الاجتماعية الإسلامية تُعد الفرد للدارين وتسعى إلى تطهير النفوس وتربية الضمائر وإنارة طريق الهدى والحرص على العبادة الخالصة لله تعالى، وإقامة علاقة داخل المجتمع على أساس الحب والتعاون، فالمجتمع الإسلامي مطالب بإقامة العدالة بين أفرادهِ وتوزيع ثرواته عليهم دون إقصاء أو تهميش حرصاً منه على القضاء على الظلم والفقر والامية لأنه باب للإرهاب والبغي.

وتبقى العودة إلى الله أفراداً وجماعة سمة إنسانية لمن أراد التوبة والعودة إلى أحضان الأمة الإسلامية، فكل ذلك يؤدي إلى حياة يعرف فيها كل فرد وكل جماعة ما له وما عليه، ويطمئن لها وبها،

يقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "وَعَوَّدُوهُمْ الْخَيْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ" وهي مهمة التربية بالعادة، فالإنسان مجبول على الدين والخلق، ويكون ذلك بالترغيب والترهيب والقُدوة والمتابعة، وهذه هي العدالة التي أقرها الإسلام يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 90].

وبهذا تزود التنشئة الاجتماعية الإسلامية الفرد والجماعة بعقيدة تصبح عنوان وجوده مبني على الأحكام والمبادئ والقواعد التي تنظم سلوكه بكل أبعاده [علاقة الإنسان بربه علاقة توحيد وتنزيه، وعلاقته بغيره علاقة حوار وإخاء وتعاون، وعلاقته بنفسه علاقة جامعة للتأمل في العلاقتين السابقتين].

وتظهر وسطية الإسلام في الأسرة المسلمة في الدور النفسي الذي تحققه للفرد والجماعة من توافق داخلي وخارجي (التوازن النفسي للشخصية).

نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: 110-111]

فلاستقامة الدنيوية بالبعد عن الغلو والتطرف طريق الاستقامة وحسن الخاتمة. يقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: 27]. ولا يعتقد المسلم الحق أنه كلما

ازداد فظاظة وكراهية وشدة لمخالفه في الرأي كان أقرب إلى الله تعالى وسار في تحقيق الإيمان، بل المخالطة والحكمة وإظهار سماحة الإسلام هي المطلوبة. يقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل: 125] وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [سورة النساء: 94]. فالكفر والإسلام حكمهما إلى الله وحده.

خلاصة الغلو في الدين وتجاوز السماحة الإسلامية لا شك موصلة إلى

لأن مصدر هذه الحقوق والواجبات هو الله الذي أعطى لكل شيء خلقه ثم هدى، فلا مدخل في تحديد الحقوق والواجبات للرغبات الشخصية.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر: 53]، ويقول: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [سورة الحجر: 56].

الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف، وكل محاولة لا تأخذ ذلك في الحسبان تجمع بين الإفراط والتفريط ويُعدّ ذلك تجاوزا للوسطية الإسلامية المبنية على قوله صلى الله عليه وسلم: ((الدين المعاملة))، وكل من سار بفكره عكس ذلك يكون فاقدا للصراف المعتدل المستقيم، وإن كثيرا من المارقين يحولون اليسر إلى عسر. يقول الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّا

= التطرف

ثقافة السلام حاجة ماسة لاستمرار الحياة والحضارات، لهذا نجد الدول التي اکتوت بنار الفتنة والإرهاب لجأت إلى تدابير شرعية وقانونية بحدين - حدّ السيف وحد الرحمة - ولعلّ هذا ما عملت عليه المملكة العربية السعودية والجزائر. جاء في قانون الرحمة الجزائري ما يلي:

المادة 3 - لا يتابع قضائياً، من سبق أن انتمى إلى إحدى المنظمات المذكورة في المادة 87 مكرر3 من قانون العقوبات، أدت إلى قتل شخص أو سببت له عجزاً دائماً أو مست بالسلامة المعنوية أو الجسدية للمواطنين أو خربت أملاكاً عمومية أو خاصة.

المادة 87 مكرر: يعتبر فعلاً إرهابياً وتخريبياً، في مفهوم هذا الأمر، كل فعل يستهدف أمن الدولة والوحدة الوطنية والسلامة الترابية واستقرار المؤسسات وسيرها العادي عن طريق أي عمل غرضه ما يأتي:

التكفير وما يقابله من آثار مدمرة، لأنها تمس أعز ما يملك الإنسان في هذا الوجود - به يعرف وبه يحيا وبه يموت - (إيمانه العقدي)

جاء في كتاب الفیصل بین الإسلام والزندقة للغزالي ما نصّه: "زعمت طائفة أنّ في کتبي ما یخالف مذهب الأصحاب المتقدمين، وأن العدول عن مذهب الأشعري، ولو في قيد شبر، كفر، فهوّن عليك أيها الأخ المشفق على نفسك واصبر على ما يقولون، فأی داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين وقد قالوا إنه مجنون من المجانين؟ وأنى تتجلى أسرار الملكوت لقوم معبودهم سلاطينهم وقبلتهم دنائيرهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَاعْلَمَ بِمَنْ اهْتَدَى﴾".

ولعل العمل على انتشار وتشجيع ثقافة السلام من أهم الوسائل الناجحة في معالجة ظاهرة التشدد الديني، فالمعادلة لا تخرج عن:

- 1 - الحوار + الاختلاف + الاحترام = ثقافة السلام.
- 2 - الجدل + التعصب + التسلط

العامة وسير المؤسسات المساعدة للمرفق العام.

- عرقلة سير المؤسسات العمومية أو الاعتداء على حياة أعوانها أو ممتلكاتهم أو عرقلة تطبيق القوانين والتنظيمات إن الشيطان يدخل إلى أهل العبادة لإفساد دينهم من باب الإفراط والغلو في الدين، كما حصل من الخوارج والعصابة التي شغفت برأيهم، وأن طريق السلامة من الفتن الرجوع إلى أهل العلم، كما حصل رجوع ألفين من الخوارج بعد مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما، ظروف كثيرة أحاطت بجماعات وأفراد في تاريخ الأمة الإسلامية حين اختلفت مع حكامها أن تخرج عليهم وتعلن الحرب فما كانت النتيجة؟ النتيجة أن هذه الحركات المناهضة للحكومات القائمة، خاضت حربا طويلة أو قصيرة انتهت إلى هلاك أصحابها وانكسار دعوتهم، وحدث فتن داخل المجتمع المسلم، وسفكت الدماء وضيعت الأموال وعطلت الطاقات، وكثرت الأطماع وسرقت

- بث الرعب في أوساط السكان وخلق جو انعدام الأمن من خلال الاعتداء المعنوي أو الجسدي على الأشخاص أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو المسّ بممتلكاتهم.

- عرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطريق والتجمهر والاعتصام في الساحات العمومية.

- الاعتداء على رموز الأمة والجمهورية ونش أو تدنيس القبور.

- الاعتداء على وسائل المواصلات والنقل والملكيات العمومية والخاصة والاستحواذ عليها أو احتلالها دون مسوّغ قانوني.

- الاعتداء على المحيط أو إدخال مادة أو تسريبها في الجو أو في باطن الأرض أو إلقائها عليها أو في المياه بما فيها المياه الإقليمية من شأنها جعل صحة الإنسان أو الحيوان أو البيئة الطبيعية في خطر.

- عرقلة عمل السلطات العمومية أو حرية ممارسة العبادة والحريات

لأمة لا إله إلا الله إلا بالسهر على حفظ أمنها واستقرارها، فلا غالب ولا مغلوب عندما يكون الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله وهذا ما يؤكد حال بعض الأفراد ممن رجع إلى ربه، واتقاه في أمته، فالعمل على نشر الأمن يصبح من ضرورات استمرار الحياة لما يوفره على كل المستويات (النفسي والأسري والاجتماعي والاقتصادي) يقول الله تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) [النحل: 112]. ويقول أيضا: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم: 35].

خلاصة البحث: في اعتقادنا أن الفلورده إلى الأسباب التالية:

1. الفهم السيئ للنصوص الشرعية كما جاءت في القرآن الكريم، والسنة النبوية العطرة، ومجانبة سيرة السلف الصالح.

الأمانة. ولنتأمل تعليق شيخ الإسلام ابن تيمية على فاجعة قتل الحسين رضي الله تعالى عنه: "إنه لم يكن من الخروج مصلحة لا في دين ولا دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار سببا لشر عظيم وكان قتل الحسين مما أوجب فتنة" إذن بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير والقتل بالجملة جهادا؟! يقول الله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) [البقرة: 84]، ويقول أيضا: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) [المائدة: 32]. واقع الجماعات التي رفعت شعار التغيير بالجهاد، وإسقاط الحكام بالقوة يؤكد نتيجة عكسية وحتمية، فلا مثالية لمجتمع الإيمان ولا استقامة

6. الغلو داخل الملة في -نظرنا- أخطر من الغلو خارجها. فالأفكار اليهودية والنصرانية المعاصرة إذا وجدت طريقها إلى الفئات الشعبية الواسعة لا شك تشكل تطرفا داخليا، وهذا ما نشاهده ونسمع به هنا وهناك في أمصار إسلامية كثيرة.

7. مبدأ التيسير والتبشير يبعد عن التعسير ويقضي على الغلو. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفِرُوا)) ويقول أيضا: ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرْقًا، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضَ قَطَعَ وَلَا ظَهَرَ أَبْقَى)) والرسول صلى الله عليه وسلم ((مَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا)) قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 286].

2. تحقيق الأغراض السياسية الظرفية بمبررات عقدية. فجل الأحزاب السياسية التي لا تملك وعاء انتخابيا شعبيا يسمح لها باستمرار وجودها تسعى إلى استخدام أفكار متطرفة سواء عقدية أو إيديولوجية.

3. استخدام العقل بدون ضوابط استخداما لا يتحملها العقل نفسه، وكل ذلك يؤدي إلى التأويل المذموم الذي يخترق النص القرآني (الغلو بعينه).

4. التحولات العقدية من مذهب إلى آخر دون مبرر عقدي سليم. غالبا ما يبحث عن الشهرة والمنفعة، خاصة من ينتقل من مذهب السنة والجماعة إلى مذهب آخر.

5. المجادلات والمناظرات بين أبناء الملة الواحدة. فالإسرار على إرسال الأفكار إلى المتلقين بواسطة المناظرات المبنية على المغالطات قصد تشويه سلوك الملتزمين يؤدي إلى ظهور تطرف فكري متبوع بأحكام لا صلة لها بالدين، كالتكفير والتفسيق والاتهام بالزندقة.

14. الفقر والشّعور بالإحباط من الظلم العالمي المسلط على الأقليات الإسلامية في العالم.

15. سبّ العلماء والتجريح فيهم، وعدم الثقة والاطمئنان لفتاويهم.

16. محاولة تحديث الدين بنظرة عقلية متحجرة بالصاق سلوك الغلو إلى السلف الصالح وهم منه براء.

17. معاداة الحكام وأولي الأمر تحت الذرائع الدينية المغلوطة.

18. استنطاق الأحداث التاريخية المؤلمة التي حدثت في الحضارة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإعادة قراءتها قراءة غلو وتطرّف.

19. قد يتحوّل التطرّف السياسي إلى غلو ديني، وهذا ما يؤكّده حال بعض الشعوب في الانتخابات خاصّة في العالم الثالث، وعالمنا العربي على وجه أخصّ.

20. الفهم الخاطئ للنصوص الدينية الحاثّة على الجهاد، نعم للجهاد

8. غياب العدالة داخل المجتمع، والتهميش يؤديان إلى التطرف وبمبررات عقدية، وهي أقوى المبررات.

9. غياب التنشئة الاجتماعية السليمة، المبنية على التربية والعدالة بين الأبناء.

10. الشخصية غير السوية قد تلجأ إلى المبالغة الدينية كتعويض أو نكوص أو إسقاط، والمحصلة انتقام لا شعوري من المجتمع.

11. الاعتقاد الجازم والإيمان الراسخ بسلامة وصحة العقيدة الإسلامية وصلاحها في كل مكان وزمان يقضي على الغلو.

12. الفهم الخاطئ للتوبة، ومحاولة تدارك ما فات بعد الانغماس في كثير من المحرمات.

13. الأمية الفقهية والاعتماد على الفتاوى السوقية والتعصّب للرأي المبني على ثنائية الأحكام (حلال، حرام).

تظهر في مناسبات دينية كثيرة.

22. إعادة إنتاج أفكار الخوارج من أجل تكفير الأمة، وبث المسائل الكلامية المعقدة في أوساط العامة من الناس. ما قيمة الحديث مع محدودي الفهم من الفئات الشعبية عن الوجود والصفات والجوهر والعرض وخطأ الصحابة (معرفة كلامية فائدتها أقل وضررها أكثر) ولقد انخرط في تعاطي المسائل الكلامية كل الناس، ولم يقتصر على أهل الفن خاصة، فأضحت مفاهيمه تشغل شريحة واسعة من المجتمع فالتبس فهمها وتناقضت الاجتهادات في تفسيرها وتحديد مدلولها فتعرضت الأمة إلى انقسامات شتى إثر تنوع التأويلات، وتعددت المواقف تجاه هذه المفاهيم، فأصبح الجميع يعيش أزمة مصطلحات بل أزمة مفاهيم، وكل ذلك عطل طاقة العقل الإسلامي وكادت تفرغ عقيدة التوحيد من مضمونها العملي، كما تشكلت تيارات بمفاهيم دخيلة ليس لها ما يبرر انتشارها. وكأنني بالغزالي، حجة الإسلام، يقول اليوم: "ألجم

المبني على ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: 60]، جهاد فعلي، لا جهاد قولي غوغائي، فالأمة الإسلامية شرفها الله بالجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، والدفاع عن النفس، واسترجاع الحقوق المسلوقة، وليس لترويع الأمنين، وقتل النفس البريئة، ولا للتفكير من الإسلام، فالجهاد هو السلام.

21. الحقد العقدي المذهبي ومحاولة إصاق التهم، والتعصب، واتخاذ كل الوسائل حتى اللاأخلاقية من أجل تمرير الخطاب الديني المتعصب. فشتم الصحابة فوق المنابر وفي القنوات الفضائية يولد عند فئة شعبية واسعة ردود أفعال قد تمتد إلى المواجهة، لأن الطرف المرسل إليه يُمس في مكّون أساسي من حياته لا يمكنه التغاضي عنه. فعاطفة الانتقام مهما اتخذت أشكالا مستترة إلا أنها

العوام عن علم الكلام".

23. ضراع وتناحر البدع ومحاولة تمريرها فقهياً. فالتصور الشعبي يتفرع إلى فرعين يكاد يناقض الأول الثاني أثناء ممارسة البدع، وبالتالي يكون الشخص أمام ازدواج في الشخصية، لكن لا نعني بهذه الازدواجية ما يعنيه علماء النفس كظاهرة نفسية وإنما المقصود هو تناقض واختلال بين التصورات وما ينتج عنها كسلوك بديل وطبيعي ليتحول لاحقاً وبمرور الزمن إلى عرف حتى ولو على المستوى الفردي المحدود، خاصة إذا وجد الممهدات كالفتاوى الصادرة من غير المختصين على قلتهم أو كثرتهم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)).

فالبدعة في الواقع ما هي إلا حيلة من الحيل التي تنتشر في الأوساط الشعبية بمبررات عقدية ومن أجل

المحافظة عليها يبحث من أنتجها عن شخصية مرجعية يثق فيها غالبية الناس وهو بذلك مستعد للتضحية تارة بالتكفير لكل مخالف، وتارة أخرى بمحاولة القضاء على بدع أخرى تبدو منافسة لبدعته، والمحصلة اللجوء إلى الغطاء الديني بغلو وتطرف.

ملاحظة: للموضوع مراجع